



صورة رقم (٣) الفنان الفرنسي جاك لويس دافيد - قسم الأخوة هوارس

المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

في هذه اللوحة المسماة " بقسم الأخوة هواريتوس " أو (هوراتي) أو (هوارس) كما جاء ذكرها في عدة كتب ، والتي أخذنا فيها الفنان الفرنسي البارع (جاك لويس دافيد) (Louis Jacques David) إلى تجربة شبة درامية أو مشهد مسرحي ، وهي ترجع إلى عصور الرومان القديمة ، فمن اللوحة نلاحظ عنصر الحدث والحكمة والعقدة والحل والنهاية ، التي أحكمتها أدوات الفنان من الخطوط والألوان والتشكيل والتشخيص . فاللوحة تصور عند أحد مدخل القصور الذي يحيط به من اليمين واليسار جدار حجري ، وأرضية مرصوفة بالأحجار أو الرخام المنتظم ، ويحتل في خلفية اللوحة عمودان من الرخام الحجري ذو الأقواس المنحنية والذي خلف وراءه ظلاماً دامساً، وهو يقسم اللوحة إلى ثلاثة عناصر ، ففي الوسط يوجد رجل كبير في السن يمثل الأب، يرتدي العباءة الحمراء ، وهو يحمل السيوف الحديدية بيده اليسرى ، ويشير بيده اليمنى إلى أيدي أبنائه ، وفي يسار اللوحة يوجد ثلاثة من الرجال ، حيث تبدو عليهم هيئة الشباب ، وهم يعتبرون أخوه أشقاء من أبناء هواريتوس المحاربين مشدودي القامة تبدو عليهم ملامح الحدة

والشجاعة والإقدام والصرامة ، وهم يرفعون أيديهم مشدودة إلى الأعلى جهة أبيهم ويقسمون أمامه على مواجهة القتال بالسلاح من أجل النصر على أعدائهم ، حيث يحمل الشاب الأخير في يده اليسرى رمحاً طويلاً ، ويضع أخوه الأوسط يده اليسرى على منتصف جسده بقوة ، حيث تبرز عضلات الساقين ، والذراعين بشكل واضح . يقابل تلك المجموعة ثلاث من النساء وطفل رضيع ، وهن في وضعية الجلوس ، وفي حالة ربما بكاء أو نحيب أو نوم حيث النسوة الثلاث يحتضن الطفل والرضيع بكلتا اليدين ، والأخرى تسند يدها اليمنى ، ورأسها على كتف أختها الأيسر .

المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

إن بعض الأشكال المرئية التي تكوّن اللوحة تتمثل في عناصر هندسية بنائية من العمودين الرخاميين وما يتضمنه من الجدران والأرضية، وتوظيف المنظور الخطي فيها بشكل متقن ، أما العناصر العضوية الأخرى فهي تمثل الرجل العتيد الذي يتوسط العمل ، ومجموعة الشبان الأقوياء في يسار اللوحة ، والمجموعة الأخرى في اليمين التي تمثل النسوة الجالسات بالإضافة إلى الطفل ، والرضيع ، فمن شكل العمود ، وطرز البناء، ونوعية الملابس ، والعباءات ، والأحذية ، وغطاء الرأس الذي يشبه الخوذة وهو التوجا " TOGA " يتضح لنا أن المشهد المصور ليس في زمن الحضارة اليونانية بل يحاكي زمن الإمبراطورية الرومانية .

فكأن الرجل الكبير الذي يقف في الوسط يمثل ميزان قائم ليرجح إحدى الكفتين إما كفة أبناء الشجعان الذين يمثلون البطولة والمجد للتقدم إلى الأمام ، وفي الواجهة في أرض المعركة ، أم كفة بناته الذين عمدوا إلى الجلوس ، للتراجع إلى الخلف ، والتي تبدو عليهم حالات البكاء أو الانتحاب أو الاسترخاء . فكأن الفنان (جاك لويس دافيد) يصور حالتين مختلفتين فالشبان يبدون أيقاظاً ، والنساء نائمات. أما الخطوط فنجد أن الفنان رسم خطوط الشبان بشكل مستقيم وحاد ، ومتقاطعاً، و يعطي إحساس على شدة الحركة ، والصرامة . بينما رسم خطوط النساء منحنية ومقوسة ، لتعطي إحساساً بالنعومة

والليونة ورقة الحركة ، التي تغلب عليها عاطفة النساء . أما جانب الألوان التي تتضمنها اللوحة فنرى أن (دافيد) قد لون ملابس الشبان بألوان صارخة ، وقوية ، ومتوهجة حيث أضفى عليها اللون الأحمر في لون العباءة التي يرتديها الأب ، وبعض ملابس الشبان ، وفي أعلى " التوجا " ، ليؤكد من خلاله على الدموية ، وعلى سفك دماء الأعداء ، وعلى القتال ، والتضحية حتى تتأجج مشاعر النصر ، والعزة . بينما ملابس النساء طغت عليها الألوان الهادئة من اللون الأبيض ، والبني الفاتح ، والأسود ، والأزرق لتعطي إحساساً بالخمول ، والكسل ، والانطفاء الحسي ، وبرودة المشاعر

كما أن الفنان عمد على توازن قيم اللون بين الفاتح ، والقاتم فنرى الضوء مسلطاً بشدة على مجموعة الرجال كدلالة على أهمية تلك العناصر ، وبينما أعطى الخلفية باللون الأسود القاتم خلف العامودان تتدرج ظلمتها كلما اتجهنا نحو النساء الجالسات اللاتي يقعن تحت تأثير ذلك الظل المكون . وهذا إحياء بسيط على المحاربين الأبطال مقدمين من أجل نداء الوطن التي تمثله الإمبراطورية الرومانية ، وتراجع النساء إلى الخلف ، لنترك جوانب العواطف الإنسانية ، وقضايا الهموم والحاجات الخاصة تتراجع إلى الظل أمام نداء الوطن . فالشكل ، والموضوع في اللوحة يثيران فيم الاعتزاز الوطني ، والالتزام ، والاحتذاء بالقيم الأخلاقية النبيلة ، وقيم الشجاعة ، والفضيلة ، ولهذا عمد الفنان (جاك لويس دافيد) بذكائه ، وفطنته لتنفيذ هذه اللوحة من أجل بعد سياسي داخلي ليراها الجمهور الفرنسي ، ويتأثر بها ، ويكتسبوا منها تلك القيم العظيمة . فالمجتمع الفرنسي ينذر بقيام ثورة عارمة تتفجر في داخل فرنسا التي تستوجب على الشبان أن يتنازلوا عن همومهم ، وحاجاتهم ، وعواطفهم الخاصة من أجل الوطن .

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى
أ- التحليل الداخلي أو الضمني

اللوحة تتضمن قصة وقعت أحداثها في عصر الإمبراطورية الرومانية القديمة ، تلك القصة التي أوردها المؤرخ الروماني ليفي ، وخاصة بعد عمليات التنقيب ، والبحث في مدينتي (بومبي) ، و(هيراكليوم) المشهورة التي دمرتهما البراكين الهادرة ، فقد وجدوا

أجساداً حقيقية متفحمة ، وأدوات ، ومجسمات ، وقصصاً مكتوبة ، لتظهر هذه القصة من تلك الأنقاض على النمط الروماني القديم ، فالقصة تبدأ عندما طال أمد الحرب بين الجمهوريتين كبيرتين هما جمهورية (الرومان) ، وجمهورية (ألبا) لفترة طويلة تكبدوا على أثرها الخسائر الكثيرة في الأرواح ، والأموال ، لجأوا إلى خيار واحد ليحسم أمر الحرب بينهما ، واتفقوا على اللجوء إلى المباراة الفردية بدلا من الحرب الطاحنة ، شريطة أن يتم اختيار ثلاثة من فرسان الرومان ليقابلوا ثلاثة من فرسان ألبا . وعلى أثره تم اختيار ثلاثة شبان أشقاء من أبناء (هواريتوس) من جانب الرومان ، وثلاثة أشقاء من أبناء (كورايتوس) من جانب (ألبا) . ولذا نرى في اللوحة أن الأخوة يقسمون أمام أبيهم على القتال أو الحصول على النصر المؤزر أو الموت من أجل وطنهم الرومان . وفي الجانب الآخر نجد أن هناك قصة أخرى تتمثل فإن إحدى النساء الجالسات ، وتدعى " كامبلا " هي من أخوات أبناء (هواريتوس) تعد زوجة لأحد أبناء (كورايتوس) ، فلذا فهي تجلس خلف أبيها ، وهي تبكي ، وتنتحب فإن حالف النصر أشقائها ، فمعناه الفجيعة في مصرع زوجها ، وعلى العكس فلو انتصر زوجها فالفجيعة في وفاة أشقائها . وقد شهد المباراة ، والنزاع انتصار أبناء (هواريتوس) ، وفقدت "كامبلا" زوجها . فاللوحة إذن تحاكي لحظتين لحظة الانتصار والفرح ولحظة الهزيمة والحزن والبكاء .

ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

فإذا نظرنا في هذه اللوحة ، التي امتازت بالدقة في الشكل والتكوين والضوء والموضوع والألوان ، ندرك أن هذه اللوحة تنتمي إلى أسلوب الكلاسيكية الجديدة ، الذي يعتبر فيه الفنان (جاك لويس دافيد) أحد رواد هذا الأسلوب الفني الذي انتشر في معظم البلدان الأوروبية كرد فعل على التيارات الفنية السائدة آنذاك كفن (الباروك) ، و(الركوكو). فهذا الأسلوب يستقي مبادئه من فنون عصر النهضة .

وكما أن الفنان متأثر بالأحداث السياسية الداخلية في فرنسا التي قامت عام ١٧٨٤م في عهد الإمبراطور الفرنسي (نابليون بوناپوت) ، ولذا يوصف (دافيد) بأنه رجل سياسة ، وحكمة لما يملكه من ذكاء ، وعقل ، ووعي ، وكذلك يمتاز بالصرامة في داخله ، وقد

أظهرت هذه اللوحة موقفه بشكل جلي. وكما أن الفنان متأثر بالمشاهد الدرامية ،
والمسرحية التي عملت في العصور اليونانية ، والرومانية القديمة ، والموضوعات
الكلاسيكية التي تمتاز بالرصانة ، والجودة ، والقوة في الأداء .